تلقيب رسول الله ﷺ بالسيادة

بين الإجازة والتوقف

إعداد

د. محمد عبدالغني القميري
الأستاذ المساعد
بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د/ عمر سراج أبورزيزة
الأستاذ
بجامعة الملك عبدالعزيز

محتويات الدراسة

- المستخلص.
- مقدمة.
- دوافع الدراسة.
- أهداف البحث.
- منهجية البحث.
- أصل كلمة " سيدنا " ومعانيها في اللغة.
- مجيزو التسويد والمتوقفون عنه، وأدلة كل فريق.
أولاً: أدلة مجيزي تسويد الرسول - ﷺ - والمتوقفين عنه.
* أدلة الفريق الأول:
١) لغوي وعقلي.
٢) نصي:
أ - من القرآن الكريم.
ب - من السنة.
- تلقيب الرسول - ﷺ - بلفظ سيدنا في مؤلفات العلماء.
ثانيـًا: أدلة الفريق الثاني (المتوقفين عن التسويد).
- حديث عبدالله بن الشخير - رضي الله عنه.
- مناقشة ما تضمنه حديث ابن الشخير.

- دوافع تسويد الرسول - ﷺ -، أو عدمه على ألسنة المسلمين.
- من آراء العلماء في تسويد الرسول - ﷺ -.
أ) تسويد الرسول في الأذان والإقامة.
ب) تسويد الرسول في التشهد الأخير.
- من فتاوى المعاصرين.
تسويد الرسول في غير الأمور التعبدية.
- رأي الباحثين والقول الراجح لديهما.
- الخاتمة.
- المراجع.

* * *

المستخلص

انقسـم العلمـاء في حكم تلقيب الاسم المبارك "محمد" أو صفة (رسول الله) – ﷺ – بكلمة **سيدنا** إلى فريقين، فريق أخذ بظاهر حديث عبدالله بن الشخير – رضي الله عنه – الذي ورد فيه: **السيد** الله تبارك وتعالى، ورأوا الالتزام بظاهر النص فلا يقال **سيدنا** عند ذكر الاسم المبارك "محمد" أو عبارة رسول الله – ﷺ –. وربما ذهبوا إلى قاعدة سد الذرائع التي تتحقق – في رأيهم – بالتوقف عن **التسويد**. وفريق آخر – لعله يمثل السواد الأعظم من المسلمين، الخواص منهم والعوام – لا يرى مانعـاً بل قد يرون تسويد رسول الله– ﷺ– عند ذكره فضيلة مستحبة، واستدل هؤلاء بأحاديث أخرى عديدة، وآثار كثيرة ذُكر فيها كلمة **سيدنا** عند ذكره – ﷺ – باسمه أو وصفه، وبوصف غير الرسول – ﷺ – ممن هم دونه بالسيادة، والحجة عندهم أنه متى جاز تسويد غير الرسول – ﷺ – فمن باب أولى من حق الرسول أن يسود.

والفريق الثاني أيضـاً لا **يلقب**الاسم المبارك **"محمد"** أو عبارة رسول الله – ﷺ – في الأذان والإقامة والصلاة تحديداً، ولكن يسودونه فيما دون ذلك عند ذكر اسمه – ﷺ – أو وصفه.

والحق الذي يجب أن يسلم الجميع به أن أحاديث الرسول – ﷺ – لا تتعارض فحينما يرد حديثان شريفان يفضي كل منهما إلى حكم يختلف عن الآخر، ولو ظاهراً، فعندها يجب محاولة الجمع والتوفيق

بين الأقوال ما أمكن، ومراعاة المتقدم منها والمتأخر، ولننظر إلى قوله - ﷺ - فيما رواه مسلم عن بريدة قال: قال رسول الله - ﷺ -: "كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"(١)، إذن نسخ حكم النهي عن زيارة القبور. وحديث تقديد لحوم الأضاحي، حيث منعها رسول الله - ﷺ - سنة ثم أحلها وبين أن السبب هو شدة احتياج الناس إلى الطعام في تلك السنة، أي أنهم لما استغنوا في السنة التالية سمح بتقديد اللحم وحفظه واستعماله عند الحاجة، فنسخ المنع وأحل تقديد اللحم. عن سلمة بن الأكوع قال: قال النبي - ﷺ -: "من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منه شيء. فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال: كلوا، وأطعموا، وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد، فأردت أن تعينوا فيها"(٢). والأمثلة كثيرة ولكن المقصد هو التبيان.

تسعى هذه الورقة إلى مناقشة وتحليل آراء الفريقين المسوّد والمتوقف ومحاولة الجمع والتوفيق بينهما والخروج برأي مقبول في **تسويد** الاسم المبارك **"محمد"** وعبارة - رسول الله - ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، رقم (٢٢٦٠). موسوعة الحديث، الكتب الستة.

(٢) فتح الباري، حديث رقم ٥٥٦٩، ج١، ص ٢٤، ط. دار المعرفة، أشرف عليها الشيخ عبدالعزيز بن باز. وصحيح مسلم حديث رقم (٥١٠٣).

مقدمة

هناك أمور تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول منذ القرون الإسلامية الأولى، حتى صارت من الأشياء المتعارف عليها بين الناس. ومن هذا القبيل تلقيب الرسول -ﷺ- **بالسيادة**، إذ يجري على ألسنة الناس كثيراً خاصتهم وعامتهم قولهم: **سيدنا** محمد رسول الله، **سيدنا** رسول الله. وقد يستأنس لهذا بما يوجد في القرآن الكريم تلميحاً، وقد يستدل على جواز هذا التلقيب بشيء من السنة النبوية المطهرة تصريحاً، وأعمال وأقوال التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وما جاء في الكتب التي ألفها كبار العلماء: علماء التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ وشروحها وحواشيها ما يؤيد ذلك. إننا نجد من بين الكتب التي ألفت في تلك العلوم قديماً وحديثاً بمختلف فروعها ما افتتحت مقدمته بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على رسول الله - ﷺ - وتذكر كلمة **سيدنا** في أصل المتن في المقدمة بل تذكر - في الغالب - كلما ورد ذكر رسول الله أو الاسم المبارك - ﷺ -. نجد ذلك في السطور الأولى من مقدمات كتب الحديث المباركة وشروحها: فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني، شرح صحيح مسلم للنووي، بذل المجهود في حل أبي داود للسهارنفوري[1]. ثم لو اطلعنا على شروح وحواشي كتب

(١) انظر مقدمة بذل المجهود في حل أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ت ١٣٤٦هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

الأئمة الأربعة: مالك، أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله- الذين حظوا بالقبول، وذاعت مؤلفاتهم، وانتشرت مذاهبهم في أصقاع الأرض، فسنجد فيها كلمة **سيدنا** يتلوها مقترنًا بها اسم حبيبنا ونبينا محمد - ﷺ- كلما ذكر اسمه المبارك - ﷺ -. من هذا على سبيل المثال ما جاء في مقدمة كتاب "بهجة النفوس" مختصر صحيح البخاري، للإمام أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) "الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على **سيدنا** محمد الخيرة من خلقة، وعلى الصحابة **السادة** المختارين لصحبته[١]. " الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على **سيدنا** وشفيعنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم صل على **سيدنا** محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على **سيدنا** محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون"[٢]. وفي هذا دلالة على أن تلقيب الاسم المبارك محمد - ﷺ - بكلمة **سيدنا** قد حظي بالقبول بل يكاد يحظى بإجماع علماء الأمة جيلاً بعد جيل كلما ذكر رسول الله - ﷺ -، ولم نر خلال قراءتنا المتأنية عن هذا الموضوع من أنكر أو من

(١)بهجة النفوس لشرح مختصر البخاري، ١/ ٦، ط. مطبعة الصدق الخيرية، مصر ١٣٤٨هـ، وفي كتابه "المرائي والحسان" ردد ابن أبي جمرة ذكر اسم الرسول مسبوقًا بكلمة (**سيدنا**) أكثر من سبعين مرة.

(٢) أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار للإمام أبي العباس أحمد بن معد الأُقْليشيّ، تحقيق: حسين محمد علي شكري، مقدمة المحقق، ص ٧، ط. دار المدينة المنورة، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، الرياض.

منع ذلك في العصور الإسلامية السابقة.

وقد حظي أحد كاتبي هذه السطور بزيارة كثير من الدول الإسلامية مثل الهند، وباكستان، وبنجلاديش، والهند، وسنغافورة، وماليزيا، ومعظم الدول العربية، وكثير من الدول الغربية والشرقية، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وكان – من فضل الله ونعمه الجليلة عليه – أنْ زار بعض مساجد المدن، والمدن الجامعية لأداء الصلوات وخاصة صلاة الجمعة فيها، ولا يتذكر أن خطيباً للجمعة قد أغفل كلمة **سيدنا** عند ذكر رسول الله – ﷺ.

كما يندر أن يرتجل خطيب أو يعد كلمة مثل خطبة الجمعة أو العيدين إلا ويبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ – ويلقب الاسم المبارك الشريف بقول **سيدنا**، ومن يبحث عن ذلك يجده أكثر من أن يعد ويحصى.

كذلك يجد القارئ – كلمة **سيدنا** – في الصكوك الشرعية، في تدوين عقود البيع والشراء والإيجار والتوكيل، فنجد تلك الصكوك مصدرة بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسوله – ﷺ – تسبق فيها كلمة **سيدنا** الاسم المبارك. والأمثلة على ذلك كثيرة، ونظن أننا لسنا بحاجة لإيراد شيء منها لشيوعها وكثرة تداولها.

وقد أحسنت إمارة مكة المكرمة وأمانة العاصمة المقدسة في

تسميتها شوارع مكة المكرمة عندما **سودت** صحابة رسول الله -ﷺ- وترضت عنهم، إذ نقرأ في لوحات الشوارع والطرق: شارع **سيدنا** أبي بكر رضي الله عنه، شارع **سيدنا** عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، شارع **سيدنا** علي بن أبي طالب- رضي الله عنه، مسجد **السيدة** عائشة - رضي الله عنها، وهكذا، فجزى الله القائمين على هذه الأعمال خيرالجزاء.

دوافع الدراسة:

مانراه الآن من إحجام بعض العلماء والكتاب والخطباء في زماننا هذاعن تلقيب رســـول الله - ﷺ- بكلمة **سيدنا**، وإذا ما حُدثوا في ذلك استدلوا بدليل سنذكره لاحقـًا. وقد انتشر هذا في الكثير من المساجد وحتى في الحرمين الشريفين. وصرنا نجد الكثير من المؤلفات تخلو من تلقيب رسول الله بكلمة **سيدنا**. نسمعهم في الخطب والدروس يستبدلون بكلمة **سيدنا** كلمة نبينا أو كلمات جميلة هو أهل لها، كقول أشرف الأنبياء والمرسلين، **وسيد** الأولين والآخرين، وما شابه ذلك لكنهم يحبذون عدم تسويده - صلوات الله وسلامه عليه-.

كذلك صرنا نجد عقود البيع والشراء والإيجار خالية من تلقيب الاسم المبارك محمد بكلمة **سيدنا** ولكنهم يذكرون كلمة **نبينا** في أول العقد وآخره، وفي جميع القرارات والبلاغات الرسمية، وفي المناسبات الاجتماعية.

إن الذين يلقبون رسول الله - ﷺ - بكلمة **سيدنا** يراعون جانب

الأدب معه، وأدلتهم على ذلك كثيرة كما سنناقشها - إن شاء الله - لاحقـًا. والذين لا يلقبون الاسم المبارك محمد بكلمة **سيدنا** يحاولون أن يتلمسوا مفاهيم بعض الأحاديث ومراميها **وسنناقش كل ذلك إن شاء الله لاحقـًا**، وأدلتهم وإن كانت قليلة محصورة إلا أنهم يلتزمون بها ولا يقبلون لها تأويلاً ولا عنها تحولاً.

في القضية المطروحة إذن رأيان، رأي يأخذ بالأحاديث المجوّزة، وأعمال بعض الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وتقديم الأدب مع المقام النبوي على نص له عندهم تأويل وفهم، وآخر أخذ بظاهر نص يفهم منه نهي الرسول - ﷺ - عن أن يسبق اسمه بقول **سيدنا**، ويرى أصحاب هذا الرأي الوقوف عند النص والالتزام به، وتغليب التعميم على التخصيص.

أهداف البحث

هدف هذه الورقة التوفيق بين الأحاديث التي ترى جواز قول (**سيدنا**)، والأخرى التي في ظاهرها منع ذلك، والخروج بما يوضح حكم تلقيب الاسم المبارك الشريف بكلمة **سيدنا** -ﷺ.

منهجية البحث

اتبعت الدراسة المنهجية الآتية:

١ - المنهج الاستقرائي.

تتبعت الدراسة ما يفي بالغرض مما ورد في الكتاب والسنة وما ورد من أفعال وأقوال لبعض الصحابة والتابعين بالاستقراء والتحليل والتعليل للنصوص التي وردت في هذا الصدد، كما تتبعت الدراسة ما ورد من أقوال وكتابات بعض أئمة المذاهب الفقهية والمحدّثين في مؤلفاتهم من إطلاق كلمة (**سيدنا**) على الاسم المبارك "**محمد**" - ﷺ - أو ما يفهم منه إباحة وصفه بهذا الوصف. كما قامت بتحليل ظروف وملابسات النص الذي يوحي بالنهي عن تسويده - ﷺ-.

٢ - المنهج التاريخي.

حاولت الدراسة رصد المأثور من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والأئمة من التابعين والفقهاء في استعمال كلمة **سيد** وذلك لتحديد الاتجاه العام لاستعمال كلمة (**سيدنا**) قديمـًا وحديثـًا.

أصل كلمة (سيد) ومعانيها في اللغة:

السيد من ساد يسود، وهو فيعل من (س و د) فأصله (سَيْود) التقت الواو والياء وسبقت الياء ساكنة فقلبت الواو ياء، وأدغمت فيها (أي الياء) فصارت (**سيد**).

قال الجوهري: **ساد** قومه يسودهم سيادة وسوددا وسَيْدُودة فهو سيدهم، وهم سادة، وتقول سَوَّده قومه، وهو أَسْوَد من فلان أي أجلّ منه(١) وقال ابن فارس: "فأما السيادة فقال قوم " **السيّد** الحليم. وأنكر ناس أن يكون هذا من الحلم، وقالوا إنما سمي **سيداً** لأن الناس يلتجئون إلى سواده. واختار القول الثاني قائلا: وهو أقيس من الأول وأصبح(٢).

أي أن **السيد** عنده مأخوذ من السواد وهو الشخص قال ابن الأثير: "لأنه يُرى من بعيد أسود"(٣). وعن الفراء: **السيد**: الملك. وجاء في تاج العروس: **السيادة**: الشرف، يقال ساد يسود سُودًا وسُؤدُدا وسيادة، وحكي قول الفيومي في المصباح المنير: ساد يسود سيادة والاسم السؤْدد، وهو المجد والشرف فهو **سَيّد** والأنثى **سيّدة**. **وسيّد** جمعه

(١) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ٢/ ٤٩٠، ٤٩١، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، ٣/ ١١٤، تحقيق عبدالسلام هارون، ط، الحلبي. وسواد كل شيء شخصه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٤١٨، تحقيق: محمود الطناحي، طاهر الزاوي، ط. المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

سادة مثل: قائد وقادة. وحكى الفراء: **السيد**: الملك، **والسيد** السخيّ، وسيد العبد مولاه وسيد المرأة زوجها"(١).

من هنا نقول إن **السيد** في لغة العرب هو الشريف الماجد، وهو الرئيس الذي يلتجئ إليه الناس ليسوسهم ويقضي حوائجهم، روي عن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه أوصى عند موته بنيه فقال: " اتقوا الله **وسوّدوا** أكبركم، فإن القوم إذا **سودوا** أكبرهم خلفوا أباهم، وإذا **سودوا** أصغرهم أزرى بهم ذلك في أكفائهم"(٢)، قال الألباني: حسن الإسناد، وليس في شيء من الكتب الستة.

ومعنى **سودوا** في النص: أي اتخذوا الأكبر منكم **سيداً** ورئيساً يسوسكم وتتبعونه. وقال عمر – رضي الله عنه –: " تفقهوا قبل أن **تُسَوَّدوا**" أي قبل أن تصيروا **سادة**، وتعلموا العلم ما دمتم صغاراً قبل **السيادة** والرياسة، وقبل أن يُنظر إليكم. قال ابن بطال: قال عمر ذلك؛ لأن من **سوده** الناس يستحي أن يقعد مقعد المتعلم خوفًا على رياسته عند العامة(٣). **والسيد** أيضًا الزوج، وهو الملك، ومالك العبد. وهذه

(١) تاج العروس للزبيدي، ٨/ ٢٢٤، ٢٢٥، ط. وزارة الثقافة بالكويت.

(٢) إتحاف العالم الرباني للألباني، صحيح الأدب المفرد للبخاري، ص ١٤٥، باب تسويد الأكابر، ط. مكتبة الدليل – الجبيل، السعودية، ١٤١٨هـ.

(٣) عمدة القاري، شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، ٢/ ٥٥، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

هي المعاني التي تعارف عليها الناس، فمعنى الكلمة عام هو الشريف الماجد **وسيد** كل شيء أشرفه وأرفعه"(١).

قال النووي في الأذكار: اعلم أن **السيد** يطلق على الذي يفوق قومه، ويرتفع قدره عليهم، ويطلق على الزعيم والفاضل، ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه، ويطلق على الكريم، وعلى المالك، وعلى الزوج، وقد جاءت أحاديث كثيرة بإطلاق (**سيد**) على أهل الفضل أ.هـ(٢).

(١) انظر: تاج العروس، ١/ ٢٢٥.

(٢) الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار للنووي، ص ٤٥٥، نشر دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط. الدار المصرية اللبنانية - القاهرة.

أدلة مجيزي تسويد الرسول ﷺ ، والمتوقفين عنه

أولاً: أدلة الفريق الأول (مجيزي التسويد).

سنقسم هذه الأدلة إلى قسمين:

١ - لغوي عقلي.

٢ - نصي:

أ) من القرآن الكريم.

ب) من السنة.

وسأقسم هذا الأخير (نصوص من السنة) إلى أربعة أنواع:

- أحاديث **سوّد** فيها الرسولُ - ﷺ - نفسه.
- أحاديث **سوّد** فيها الصحابةُ رسولَ الله - ﷺ -.
- أحاديث **سوّد** فيها رسولُ الله - ﷺ - بعضَ الصحابة.
- **تسويد** الصحابة لبعض منهم.
- أقوال علماء مسلمين أجلاء **سوّدوا** فيها الرسول ﷺ.

ونبدأ بالقسم الرئيس الأول **(الأدلة اللغوية العقلية)** فأقول:

قد ورد في استعمالات العرب الفصحاء للغتهم استخدام كلمة **(سيد)** بمعناها الذي سجلته معجماتنا اللغوية، وهو الرجل السخيّ الحليم ذو المكانة والمنزلة فيهم الذي يلجأون إليه عند الحاجة، كما أطلقوه على الملك، وعلى مالك العبد، وعلى الزوج.

يدل هذا على أن الكلمة كانت متداولة على ألسنة العرب على اختلاف أصولهم وديانتهم، كما استعملها اليهود أيضاً بنفس المعاني التي ذكرت، ففي قصة إسلام الصحابي الجليل عبدالله بن سلام كما رواها أنس بن مالك في حديث الهجرة: "... جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني **سيدهم** وابن **سيدهم**، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ. فأرسل إليهم نبي الله - ﷺ - فأقبلوا فدخلوا عليه... قال: فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا: ذاك **سيدنا** وابن **سيدنا**، وأعلمنا وابن أعلمنا... الحديث"(١).

الكلمة إذن كانت شائعة على ألسنة أهل الجزيرة العربية، على اختلاف دياناتهم، وأنهم أطلقوها على من توافرت فيه الخصال المحمودة بحيث فاق غيره، ولا شك أن الرسول - ﷺ - قد جمع ما ذكر وما لم يذكر من صفات الفضل بحيث لا يدانيه في ذلك إنسي ولا جني، ومن ثم فهو الأولى بأن يسوّد اعترافاً بصفاته المحمودة، وشمائله التي جمعت كل خير وفضل.

(١)فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٧/ ٢٥، ضمن الحديث رقم (٣٩١١)، كتاب مناقب الأنصار، تصحيح وتقديم الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار المعرفة، بيروت.

إن كلمة " **سيد**" حين تطلق على محمد – ﷺ – فإنها تعني بمعانيها وظلالها أن مستعملها معترف بذلك للموصوف بها، مستشعر معانيها، مستحضر إياها حين ذكر الاسم الشريف، وإننا لنتساءل: أي إنسان أحق بهذه الكلمة (**سيد**) من الحبيب محمد؟ إنه الشريف حسباً ونسباً فهو خيار من خيار من خيار، كما أخبر وهو يتكلم عن نسبه، وهو الجواد السخيّ الذي كان أجود بالخير من الريح المرسلة، كما أخبرت السيدة عائشة – رضي الله عنها– في الحديث الصحيح. وهو الذي وصف بأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يمنح واديا من الإبل أو الغنم، يعطي حتى من يؤذيه بالفعل والقول. وهو من كان يلتجئ الناس إليه فيما يصعب عليهم حله من المشكلات. وعمله حين اختصمت قريش في وضع الحجر الأسود معروف مشهور، بل إنه كان الملجأ في الشدائد، ولا أشد من الحروب موقفاً، فهو كما قال فيه الإمام علي كرم الله وجهه: "كنا إذا اشتد (أو حمي) البأس، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله – ﷺ – فلا يكون أحد أقرب إلى العدو منه"(١).

من من الناس إذن يطاول الرسول – ﷺ – في أحقيته بأن يطلق عليه لفظ السيادة؟.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ص ١٨٢، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢ - القسم الرئيس الثاني (النصوص):

أ) النصوص القرآنية:

وردت كلمة " **سيد** " في القرآن الكريم مفردة ثلاث مرات استعملت في إحداها لقبـًا للزوج وذلك في قوله تعالى حكاية عن حال امرأة العزيز مع نبي الله يوسف - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -: " **وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ** "(١).

والموضع الثاني جاءت فيه " **سيد** " لقبـًا لنبي الله يحيى، وذلك في قول الله تعالى عن نبيه زكريا: " **فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** "(٢).

والكلمة هنا بمعناها الشامل، وهو الرجل الشريف، الحليم، الذي يلجأ إليه الناس لقضاء حوائجهم.. إلى غير ذلك من المعاني التي أسلفنا الحديث عنها في شرح المعنى اللغوي للكلمة.

ولا شك أن استعمال آية آل عمران الكلمة بهذا المفهوم في تلقيب نبي الله يحيى - عليه السلام - يرينا أنه لا بأس على الإطلاق من تلقيب خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم بل إن تلقيبه بها - صلوات الله وسلامه

(١) سورة يوسف من الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٩.

عليه - يكون أولى وأجدر.

والموضع الثالث وردت فيه الكلمة مجموعة في موضع واحد هو قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأحزاب على لسان طائفة من أهل النار " **وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ** "(١).

قال قتادة: **سادتنا**: رؤساؤنا، وقال طاوس: أشرافنا"(٢).

ب) الأحاديث:

- **أحاديث سوّد فيها الرسول - ﷺ - نفسه.**

جاء في جامع الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله - ﷺ -: " أنا **سيد** ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر"(٣).

- ومنها ما رواه الطبراني: عن الحسن بن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: يا أنس انطلق فادع لي **سيد** العرب " يعني عليا، فقالت عائشة - رضي الله عنها - ألست سيد العرب؟ قال: " أنا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦٧.

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان، ٧/ ٢٤٢، تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود وآخرين، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) جامع الترمذي أبواب المناقب، حديث رقم ٣٦١٥. موسوعة الحديث، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط. دار السلام للنشر، ص ٢٠٢٤. وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل (مسند عبدالله بن عباس برقم ٢٥٨٧ ج٢/ ٦٢٣. بلفظ مختصر.

سيد ولد آدم، وعلى **سيد** العرب" فلما جاء علي..... إلخ(١).

▪ **أحاديث سود فيها الصحابة رسول الله - ﷺ- هي عديدة أذكر منها:**

١ - عن كريمة بنت همام قال: كنت عند عائشة - رضي الله عنها - فسألتها امرأة، عن الخضاب بالحناء، فقالت: كان **سيدي** - ﷺ - يكره ريحه، أو لا يحب ريحه، وليس يحرم عليكن أخواتي أن تختضبن"(٢).

٢ - عن سهل بن حنيف قال: مررت بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت محمومـًا، فنمى ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فقال: مروا أبا ثابت يتعوذ، قال: فقلت: **يا سيدي**، والرقى صالحة؟ فقال: لا رقية إلا في نفس أو حُمة أو لدغة"(٣).

٣ - في قصة مرض النبي - ﷺ - الذي مات فيه: "... فدخل بلال المسجد، فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها حتى أستأذن **سيدي** رسول الله - ﷺ -(٤).

٤ - عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: بعثت بنو سعد

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٩٠، حديث رقم ٢٧٤٩، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) السنن الكبير للبيهقي، حديث رقم ١٤٩٤٦، باب ما جاء في خضاب النساء، ج١٥/ ١٧٤، ط. دار هجر، الجيزة، مصر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٣) سنن أبي داود، موسوعة الحديث رقم ٣٨٨٨، كتاب الطب.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ١٠٢.

ابن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله - ﷺ - فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد (وناشد رسول الله أن يجيبه على عدة أسئلة فلما أجابه الرسول قال ضمام): " فإني أشهد أن لا إله إلا لله، وأشهد أن **سيدنا** محمد رسول الله"(١).

ولم يرد لفظ " **سيد** " في بعض نسخ المسند، ولا في سيرة ابن هشام لكن الأستاذ أحمد شاكر محقق الكتاب، وهو واحد من كبار علمائنا المحدثين اختار النسخة التي ذكرت، وقال: " ورسول الله ﷺ **سيدنا وسيد** الخلق، بأبي هو وأمي"(٢).

ج) أحاديث سود فيها الرسول - ﷺ - بعض الناس، ومنها:

- **حديث سود فيه الحسنين - رضي الله عنهما -:**

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "الحسن والحسين **سيدا** شباب أهل الجنة" حديث حسن صحيح(٣).

- **حديث سود فيه الحسن - رضي الله عنه - "**

حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي بكرة-

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم ٢٣٨٠، ج٣/ ٨٧، تحقيق: أحمد شاكر، وقال إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد، ج٣، ص ٨٧، حاشية المحقق.

(٣) جامع الترمذي رقم ٣٧٦٨ أبواب المناقب، ٢٠٣٩، والسنن الكبرى للبيهقي برقم ٨٨١٣، ج٧/ ٣١٨.

رضي الله عنه – قال: بينما النبي – ﷺ – يخطب جاءه الحسن فقال النبي – ﷺ –: " إن ابني هذا **لسيد** ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"(١).

وهذا الحديث يدل على فضل الحسن –رضي الله عنه – كما يدل أيضـاً على جواز قول **سيد** لأهل الفضل والمروءة والكرم، وأقول أيضـاً إن كان **الحسن سيداً** فإن رسول الله – ﷺ – أولى بالسيادة.

- **حديث سود فيه الرسول – ﷺ – فاطمة – رضي الله عنها –:**

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ – ﷺ – فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شمَالِه، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ؟ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ– ﷺ – حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ– ﷺ – فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَـرَ أَجَلِـي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي **سَيِّدَةَ** نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ(٢)."

(١) فتح الباري، حديث رقم ٧١٠٩، باب الفتن ١٣/ ٦١، وجاء في الفتح أيضـاً في باب مناقب الحسن والحسين برقم ٣٧٤٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم،

- **حديث سود فيه الرسول ﷺ سعد بن معاذ – رضي الله عنه –:**

ومما يعضد ما نقول ما روي من قوله – ﷺ –، وذلك في قول النبي – ﷺ – في سعد بن معاذ يوم قريظة حينما قال لمعشر من الأنصار قوموا إلى **سيدكم** وذلك فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –: أن ناسـًا نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه فجاء على حمار، فلما بلغ قريبـًا من المسجد قال النبي: قوموا إلى خيركم أو **سيدكم**..."(١).

وفي هذا دلالة وإشارة على جواز إطلاق كلمة **سيدنا** على سعد بن معاذ –رضي الله عنه – وما دام الأمر كذلك فإنه من الأولى – كما تقرر سابقـًا – يجوز أن نطلق كلمة **سيدنا** على رسول الله – ﷺ –. وبعض العلماء يقولون: إن كلمة **سيد** أطلقت على سعد بن معاذ – رضي الله عنه – لأنه رئيس الأوس من الأنصار فتكون الإشارة في هذا الحديث مخصصة بأنه رئيس قومه فقط، وليس هناك ما يمنع إطلاق قول **سيدنا** على رئيس القوم فقط. وتعليقنا على هذا أن سياق الكلام يدل على أن الكلمة قيلت لبيان مكانة **سيدنا** سعد بن معاذ تكريمـًا لفضله، وسبقه، وحسن صحبته لرسول الله – ﷺ –. ثم إن سعداً شريف مقدم في قومه الأنصار، والرسول – ﷺ – هو **السيد** المقدم على الأمة بل وعلى

(١) صحيح مسلم، موسوعة الحديث، الكتب الستة رقم ٣٨٠٤، ص ٣٠٩، والسنن الكبرى للبيهقي برقم ٨١٦٥، ومسند أحمد برقم ١٨٥٤٤.

العالمين، فدائرة السيادة تضيق وتتسع حسب درجة المسوَّد.

▪ **حديث سود فيه الرسول – ﷺ – سعد بن عبادة سيد الخزرج**

وذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن سعد بن عبادة الأنصاري قال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقتله ؟ قال رسول الله – ﷺ –: لا، قال سعد: بلى والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك، قال رسول الله – ﷺ –: اسمعوا إلى ما يقول **سيدكم**، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني"(١). فسعد بن معاذ **سيد** الأوس من الأنصار أطلق عليه رسول الله – ﷺ – كلمة **سيد**. فهذا سعد بن عبادة **سيد** الخزرج من الأنصار أطلق عليه رسول الله – ﷺ – كلمة **سيد**، فهو حديث آخر يؤيد جواز كلمه **سيد** لصحابي جليل، ومن هنا نقول إذا كان رسول الله – ﷺ – قد لقب سعد بن عبادة بكلمة **سيد** فهو – ﷺ – بالتسويد أولى وأولى، وسعد بن عبادة سيد الخزرج وهو من كبار الصحابة وفضله معلوم ومعروف، وينطبق عليه ما قيل عن سعد بن معاذ.

▪ **أحاديث سوّد فيها صحابة بعض الصحابة:**

عمر يسوّد أبا بكر – رضي الله عنهما –.

في قصة تولية أبي بكر – رضي الله عنه – الخلافة، وخلال الخلاف

(١) صحيح مسلم باب اللعان، حديث رقم ٣٧٦٣، موسوعة الحديث، الكتب الستة، ص ٩٣٦، وراجع الحديث رقم ٣٧٦١.

اليسير الذي دار في سقيفة بني ساعدة نقرأ في صحيح البخاري قول أبي بكر – رضي الله عنه" –.... فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة ابن الجراح، فقال عمر: بل نبـايعك فأنت **سيدنا** وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله – ﷺ – "(١)..

- **عمر بن الخطاب يسود أبا بكر وعتيقه بلال بن رباح – رضي الله عنهم – وعن صحابة رسول الله – ﷺ – وآله أجمعين:**

عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: كان عمر يقول: أبو بكر **سيدنا**، وأعتق **سيدنا**، يعني بلالاً "(٢).

وبعد، فقد ثبت أن الرسول – ﷺ – قد **سود** بعضـًا من صحابته وأهل بيته الكرام، وقد أمرنا رسول الله – ﷺ. قائلاً: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"، وعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثاني الخلفاء الراشدين، فتندرج سنته تحت سنة الخلفاء الراشدين، لذلك لا نرى بأسـًا بل نرى استحسانـًا واستحبابـًا إطلاقنا نحن كلمة **سيدنا** على الصديق – رضي الله عنه – وكذلك إطلاق **سيدنا** على بلال بن رباح رضي الله عنه – مؤذن رسول الله – ﷺ–، وعلى جميع الصحابة الأجلاء الذين أخبرنا الرسول – ﷺ

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي حديث رقم ٣٦٦٨، ص ٢٩٨، الكتب الستة.

(٢) صحيح البخاري، رقم ٣٧٥٤، موسوعة الحديث، الكتب الستة.

- بأنهم نجوم لنا هدايتنا في الاقتداء بأي منهم.

نخلص من هذا إلى القول بأنه إذا كان من الجائز أو من المستحب أن تطلق كلمة **سيدنا** على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- وعلى بلال بن رباح - رضي الله عنه - فإن إطلاقها على **سيدنا** رسول الله - ﷺ - يكون أولى وأجدر. ونرد على من يسوغ **تسويد** سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. - رضي الله عنهما - على الأوس والخزرج - ويعد ذلك خصوصية لهما لأنهما كانا كذلك في قومهما من الأنصار بأن أبا بكر وبلالاً - رضي الله عنهما - لم يكونا رئيسي قومهما بهذا المفهوم، ومع ذلك **سودا**.

بيان شيء من قدر رسول الله - ﷺ - وعلو منزلته:

إن محمداً - ﷺ - صاحب الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة، قد أمرنا أن ندعو له بها، لما جاء في حديث عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، ومن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح(١).

إن الحديث المتقدم يدل على فضله - ﷺ - الذي يفوق جميع

(١) جامع الترمذي، حديث رقم ٣٦١٤ ص ٢٠٢٤.

البشر على الإطلاق ولنستمع إلى ما روي عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إني عبدالله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. أي طريح ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه والمعنى أن الله تعالى أخبره بنبوته وهو روح قبل نفخ الروح في آدم، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل وجود أجسامهم"(١). وهو من خصوصياته - ﷺ - ذكرها تحدثاً بنعم الله الجليلة عليه وإخباراً لأمته بمنزلته الرفيعة ومكانته العظيمة، لينزلوه المنزلة اللائقة به - ﷺ - من التعظيم والتوقير. والحديث يدل أيضاً على أنه - ﷺ - ليس **سيداً** في الدنيا فحسب، ولكنه **سيد** في الآخرة أيضاً. ولو كان هناك مانع من تلقيبه - ﷺ - **بسيدنا** لما قال ذلك صراحة.

ومما يبين عظم قدر رسول الله - ﷺ - أننا لم نقرأ أن أحداً من أصحاب رسول الله - ﷺ - ناداه باسمه مجرداً أي بقول **يا محمد،** وأن كل ما ورد عن صحابته الكرام -رضي الله عنهم- عبارات جميلة مؤدبة مثل **يا رسول الله، يا نبي الله، يا أبا القاسم**. في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - الذي رواه مسلم: " قالوا يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟". في باب الدعاء بعد الصلاة أورد البخاري: عن أبي هريرة - رضي الله عنـه - قالوا يا رسول الله قد ذهب أهل الدثور بالدرجات

(١)الخصائص النبوية شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب - الشرح محمد بن أحمد بن عبدالباري الأهدل، والمغني للسيوطي، ص ٢١، ط. مكتبة جدة، ١٤٠٦هـ

والنعيم المقيم....[1]، وهكذا، اللهم إلا ما ورد عن بعض الأعراب في بدايات دخولهم الإسلام، ومعلوم أن الأعراب سكان البادية، وهم معروفون بالجفوة وغلظ الطباع، لأن الإنسان ابن بيئته فهي تسمه بسماتها، ويكون لها على طباعه وتصرفاته - أعمالاً وأقوالاً - الأثر البالغ. وسنبين شيئاً من ذلك فيما يلي، علماً بأن هذا لم يكن السائد مطلقاً بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - الذين عرفوا مقامه ومنزلته - ﷺ.

في حديث أبي هريرة كان رسول الله - ﷺ - يجلس معنا في المسجد يحدثنا، فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه، فحدثنا يوماً فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمّر رقبته، قال أبو هريرة: وكان رداء خشناً، فالتفت، فقال الأعرابي: احمل علي بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، .... الحديث قال: ثم دعا رجلاً فقال له: " احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيراً، وعلى الآخر تمراً"[2].

أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد تعلموا الأدب الرفيع من رسول الله -ﷺ - واستلهموه مما وقر في قلوبهم من هيبته وأنواره التي منحه المولى عز وجل إياها فضلاً وكرماً منه.

(١) صحيح مسلم، حديث رقم ٦٣٢٩، فتح الباري ١١/ ١٣٢.

(٢) سنن أبي داود، موسوعة الحديث برقم ٤٧٧٥.

والقارئ المتدبر لسورة الحجرات يجد في مطلعها أجوبةً واضحة وإشارات بينة، فقد جاء بعض الأعراب إلى أحد بيوت النبي - ﷺ - في المدينة المنورة وصاروا ينادونه بصوت عالٍ وباسمه المباشر يا محمد اخرج إلينا، يا محمد اخرج إلينا، فجاءت التربية الربانية والتوجيه الإلهي منوهـًا بعلو قدره وشرف مقامه - ﷺ - في سورة حملت اسم المكان الذي نودي منه - ﷺ - "**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ**"(١). ثم وضحت أن هذا غير جائز، وأنه عمل متوعد عليه من الحق سبحانه وتعالى: "**أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ**" وكانت الاستجابة الفورية من المسلمين، وكان الحرص منهم والحذر من الوقوع في هذه المعصية بعد نزول الآية الشريفة. وانظر إلى ما رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكسـًا رأسه، فقال له: ما شأنك ؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي - ﷺ -، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي - ﷺ - فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى (هو ابن أنس بن مالك، وهو الذي رواه عن أبيه) فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك

(١) سورة الحجرات، الآية (٢).

من أهل الجنة"(١).

لقد وعي الصحابة هذا التوجيه واستجابوا له على أتم ما تكون الاستجابة، حتى إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا كلم رسول الله يخفض صوته إلى درجة لا تسمع الرسول. يحكي ابن حجر في ذلك قول ابن إسحاق: "فما كان عمر يسمع رسول الله - ﷺ - بعد هذه الآية حتى يستفهمه"(٢).

يتضح مما تقدم، وهو قليل من كثير ورد في هذا الشأن حرص صحابة رسول الله - ﷺ - رضي الله عنهم- على التأدب معه حديثاً، وإنصاتاً، وإجابة واستجابة، والأمثلة كثيرة ولكن فيما ذكرناه البركة إن شاء الله تعالى.

وبينت الآيات الكريمة في المقابل مقام المتأدبين وما ينالون من الثواب العظيم، والأجر الكبير، والمغفرة الواسعة التي ينالها أولئك، قال تعالى مبينا ذلك: "**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ** "(٣). إن هذه الآيات وإن لم يكن فيها إشارة إلى لفظ سيدنا إلا أن صور الأدب

(١) فتح الباري، حديث رقم ٤٨٤٦ كتاب التفسير، ٨/ ٥٩٠، وصحيح مسلم حديث رقم ١١٩.

(٢) فتح الباري، ٨/ ٥٩١.

(٣) الحجرات، الآية (٣).

مختلفة في فهمها والتعبير عنها من شخص إلى أخر فأحدهم - رضي الله عنهم - يجيب بقول لبيك وسعديك، وآخر يتلقيبه - ﷺ - بكلمة خليلي، وآخر يناديه " بأبي أنت وأمي"، وعندما يذكر بقول بأبي هو وأمي، والصيغ كثيرة.

وقال تعالى في محكم التنزيل مخاطبًا المؤمنين " **لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**(١)" وفي هذا إشارة ودلالة بل وتوجيه إلهي لأن يكون لمخاطبتهم رسول الله ﷺ منهج وعبارة تظهر شيئا من مكانته وأن تكون العبارات معه في غاية الأدب، ولذا، لم نسمع من الصحابة – ناهيك عن كبارهم – أن أحداً ناداه باسمه مجردا، أو أجابه إلا بعبارات رقيقة منها على سبيل المثال لا الحصر لبيك وسعديك، بأبي أنت وأمي، بأبي هو وأمي، أوصاني خليلي رسول الله، يا ابن أخي، يا أبا القاسم، والصيغ عديدة ومختلفة، وكلها عبارات تنم عن أدب جم من صحابته -رضوان الله عليهم أجمعين – وعن تقديرهم لمقامه العظيم - ﷺ.

ومما يدل على علو قدر الرسول - ﷺ - عند ربه أن المولى -عز وجل - في ندائه للرسول الكريم في القرآن الكريم لم يناده باسمه مطلقًا "**يا محمد**" ولكن بعبارات مثل: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، من هذا قول الحق تبارك وتعالى: " **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ**

(١) سورة النور، من الآية (٦٣).

فِي "ٱلۡكُفۡرِ(١)، يَٰٓأَيُّهَا " ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ "(٢). " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ "(٣)، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا "وَنَذِيرٗا(٤)، يَٰٓأَيُّهَا" ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ "(٥)، " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ "(٦)، " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ "(٧).

وحين نقارن ما سبق بما ورد من أساليب نداء الله عز وجل لغير محمد - ﷺ - من الأنبياء فإننا نجد النداء موجها إلى اسم النبي صلوات الله عليهم أجمعين فنقرأ قوله تعالى: " إذ قال الله يا عيسى"(٨)، " وإذ قال الله يا عيسى"(٩)، " يا زكريا إنا نبشرك بغلام"(١٠)، " يا داود إنا

(١) المائدة، من الآية (٤١).

(٢) المائدة، من الآية (٦٧).

(٣) الأحزاب، من الآية (١).

(٤) الأحزاب، من الآية (٤٥).

(٥) الأحزاب، من الآية (٤٩).

(٦) التحريم من الآية (٩).

(٧) الأحزاب من الآية (٥٩)

(٨) آل عمران، من الآية (٥٥).

(٩)المائدة من الآية (١١٦).

(١٠) مريم من الآية (٧)

جعلناك خليفة في الأرض[١]"، " وما تلك بيمينك يا موسى"[٢]، " قال ألقها يا موسى[٣]" "قال قد أوتيت سؤلك يا موسى[٤]"، "قيل يانوح اهبط بسلام[٥]"، "قال يا نوح إنه ليس من أهلك"[٦]. -

إن هذا التكريم الرباني للرسول - ﷺ - يقضي بضرورة التأدب مع رسول الله - ﷺ - في المخاطبة والمعاملة وفي ضرورة خفض الصوت عنده، وما إلى ذلك.

إننا لم نعثر- فيما قرأنا -على حديث ينهي فيه الرسول - ﷺ - نهياً صريحاً عن النطق بالسيادة له، وأن ما اشتهر على ألسنة الناس أنه - ﷺ: قال: "**لا تسودوني** في الآذان والإقامة، أو لا **تسودوني** في الصلاة، لم تثبت صحته، قال الرملي الفقيه الشافعي: " وأما حديث " لاتسودوني في الصلاة" فكذب، وقولهم **لا تسيدوني** بالياء لحن أيضاً والصواب الواو" حكاه الحصكفي الفقيه الحنفي[٧]. وكذا قال الشرواني أيضاً وذلك

(١) سورة ص من الآية (٢٦).

(٢) طه، الآية ١١.

(٣) طه، الآية ٣٦.

(٤) سورة طه من الآية (٣٦).

(٥) هود، من الآية (٤٨).

(٦) هود، من الآية (٤٦).

(٧) الدر المختار للحصكفي شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي في فروع الفقه الحنفي، ص ٧١، تحقيق: عبدالمنعم خليل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

قولــه: " وأما حديث " **لاتسودوني** في الصلاة فباطل لا أصل له"(١). وقال أبو إسحاق الحويني وهو أحد المحدثين المعاصرين الأثبات "إن هذا الحديث لا يصح ولا أصل له"(٢). وعلى فرض صحته، وهو ليس كذلك فإن منطوقه مخصوص بالنهي عن التسويد في الأذان والإقامة أو في الصلاة فقط، بمعنى أن مفهومه يبيح التسويد في غير الأذان والإقامة والصلاة. ومن ثم فليس هناك ما يمنع من **تسويد** رسولنا - ﷺ - في غير ما حدده الحديث إن كان حديثا. وهل يفهم من صيغة التشهد النبوية نهي عن التسويد مطلقـًا؟

روى البخاري عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: أهدي لك هدية؟ إن النبي - ﷺ - خرج علينا فقلت يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"(٣).

(١) حواشي تحفة المحتاج بشرح المنهاج للشيخ عبدالحميد الشرواني، والشيخ أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي، ج٢، ص ٨٦، ط. المكتبة التجارية، مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، في عشرة مجلدات.

(٢) من دروس الشيخ الصويتة على موقع الشبكة الإسلامية الدرس رقم ١٤٦.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٣٥٧، ٦٣٥٩، ٦٣٦٠، صحيح مسلم، ٤٠٥، وسنن أبي داود ٩٧٩.

من الواضح أن الحديث الشريف قد خلا من كلمة سيدنا. وما كان الرسول - ﷺ - لينطق **بتسويد** نفسه؛ لأنه لا يستقيم ولا يتوافق مع الخلق العظيم والأدب الجم، فلم يشأ رسول الله - ﷺ - أن يقول اللهم صل على سيدنا محمد، خاصةً وهو المعروف بتواضعه الذي ليس بعده تواضع. إن هذا لا يقع منا نحن البشر العاديين، فأنت لا تقول مثلاً لشخص: بلغ فلانـًا أن السيد عمر يقول لك كذا - تعني نفسك -. إن هذا أمر تأباه النفوس السوية والفطر السليمة، ولا تقول مثلاً: أنا **السيد** فلان، بل تقول أنا فلان، حين تعّرف بنفسك.

نعم، لم يرد في الصحيح تسويد النبي في التشهد، يدل على ذلك: ذهاب الإمام مالك إلى أن تشهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يجري مجرى الخبر؛ لأن عمر علمه الناس على المنبر بحضرة جماعة من الصحابة وأئمتهم، ولم ينكره عليه أحد، ولا خالفه فيه، ولا قال إن غيره من التشهد يجري مجراه، فثبت بذلك إقرارهم وموافقتهم إياه على تعيينه، ولو كان غيره من التشهد يجري مجراه لقال له الصحابة أو أكثرهم: إنك قد ضيقت على الناس واسعـًا(١).

ولفظ تشهد عمر الذي استحبه مالك: "التحيات لله الزاكيات الطيبات، الصلوات لله، السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته،

(١) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ٢/ ٢٥٠، لأبي عبدالله المغربي، تحقيق: الشيخ زكي عميرات، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد ألا إلا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"(١).

تلقيب الرسول بلفظ سيدنا في مؤلفات العلماء:

دأب العلماء قديمًا وحديثًا في مؤلفاتهم أن يفتتحوا مؤلفاتهم وخطبهم بل وكلامهم العام بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ – ويسبقون الاسم المبارك "محمد" بكلمة **سيدنا**، وسنعرج على علماء ذاع صيتهم، وخلد ذكرهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سطروا ذلك في مؤلفاتهم، وهذا هو الطابع الغالب فيما كتب الأسلاف المباركون، لكن القليل منهم لم ينهجوا نفس النهج. وتختلف عبارات هؤلاء الكرام أحيانًا وتتفق أحيانًا أخرى، لكنها جميعًا تدل على حب يتدفق لرسول الله –ﷺ–. وإننا لحسن ظننا بالجميع، من لقّب رسول الله – ﷺ – بالسيادة ومن لم يفعل، لعلى يقين بأن الجميع محب للرسول، لكن لكل منهم منهجه في التعبير عن حب رسول الله – ﷺ.

قال العلامة فريد عصره محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٣٠٥هـ) في مقدمة معجمه تاج العروس من جواهر القاموس: "أحمد من قلدنا من عقد صحاح جوهر آلائه، إلى أن قال: وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً السيد المرتضى والسند المرتجى والرسول المنتقى، والحبيب

(١)مواهب الجليل، ٢/ ٢٥٠.

المجتبى، المصباح[1].

جواهر نطقها الزبيدي لقب فيها رسول الله – ﷺ – بقول **سيدنا** و**مولانا** وبكلمات أخرى جميلة جمالاً ليس بعده جمال.

قال الإمام محمود محمد خطاب السبكي المتوفى ١٤/ ٣/ ١٣٥٢هـ محيي السنة مزيل جميع البدعة، صاحب الفضيلة والإرشاد في كتابه (الدين الخالص) في المقدمة: الحمد لله رب العالمين، الأحد الصمد.... إلى أن قال وأشهد أن **سيدنا** محمد عبده ورسوله"[2].

قال الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي الأزهري (ت: ١١٢٦هـ) في كتابه الجليل (الفواكه الدواني) على رسالة أبي محمد عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن القيرواني المالكي (ت: ٣٨٦هـ) في مقدمته: الحمد لله العظيم ذي الجلال والإكرام.... إلى أن قال: وأشهد أن **سيدنا** ونبينا محمداً عبده ورسوله من بختم النبوة والرسالة انفرد – ﷺ – وعلى آله وأصحابه في كل أمد[3]".

ويعلق الشيخ النفراوي على ما جاء في مقدمة الرسالة من قوله: بسم

(١) مقدمة تاج العروس للزبيدي، ١/ ١، ط. وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية.

(٢) الدين الخالص للشيخ الإمام محمود خطاب السبكي، مقدمة المؤلف ١/ ٢، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القرواني ١/ ٨، ضبطه وصححه الشيخ عبدالوارث محمد علي، ط. دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الله الرحمن الرحيم وصلى الله على **سيدنا** محمد وعلى آله وصحبه وسلم". فيقول الشيخ النفراوي المالكي (سيدنا) أي فائقنا وعظيمنا في سائر خصال الخير... ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه الغضب، وعلى الكريم، وعلى المالك، وعلى الشخص الكامل المحتاج إليه، وعبر **بسيدنا** إشارة إلى جواز استعماله فيه - ﷺ - في الصلاة وغيرها، قال في التحقيق: واستعماله في غير الله كثير قال تعالى: " **وسيداً** وحصورا"(١)، " وألفيا **سيدها** لدى الباب"(٢)، واختلف في إطلاقه على الله تعالى، فعن مالك منعه، وقيل يكره، وقيل يجوز، ولا وجه لمنع استعماله في غير الله تعالى..."(٣).

قال مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي في مقدمة السيرة النبوية لابن هشام الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ: "الحمد لله على سابغ فضله والصلاة والسلام على **سيدنا** محمد وآله".

قال أبو محمد عبدالملك بن هشام النحوي في مقدمة السيرة النبوية لابن هشام: الحمد لله رب العالمين وصلواته على **سيدنا** محمد وآله أجمعين(٤).

---

(١) آل عمران، الآية ٣٩.

(٢) يوسف، الآية ٢٥.

(٣) الفواكه الدواني، ١/ ١٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: د. فتحي الدابولي وآخرين، ١/ ٣٩، ط. دار الصحابة، =

قال الأُقليشي، (ت: ٥٥٠هـ) في كتابه أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار ": كان الشافعي يبتدئ دعاءه بقوله: اللهم صل على **سيدنا** محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وعلى آل **سيدنا** محمد وسلم"(١).

قال علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله اليونيني المكنى بأبي الحسن في مقدمته على صحيح الشيخ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري في صحيحه، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى: "يا من أمر بصنع الجميل، وجرى عليه الجزاء الجزيل، نحمدك على ما هديتنا ونشكرك على ما أوليتنا، ونصلى ونسلم على نبيك الأكرم ورسولك **السيد** السند الأعظم، **سيدنا ومولانا** محمد الذي كان أسرع إلى الخير من الريح المرسلة؛ وعلى آله وصحبه وكل من والى المعروف وواصله". انتهى كلامه، وهي عبارة تتدفق حباً وإجلالاً.

قال الإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي في مقدمة كتابه (الاعتصام): "الحمد لله المحمود على كل حال..... والصلاة والسلام على **سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة**

= طنطا، مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

(١) أنوار الآثار للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن معد بن عيسى الأُقليشي (ت: ٥٥٠هـ)، ص ٤٥. نشر دار المدينة المنورة، الرياض، ١٤١٧هـ.

وكاشف الغمة الذي نسخت شريعته كل شريعة"[1].

قال معالي الشيخ محمد علي الحركان – رحمه الله – وزير العدل السعودي الأسبق، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سابقًا (المتوفى سنة ١٤٠٣هـ) في مقدمته لكتاب (الرحيق المختوم) بحث في السيرة النبوية للشيخ صفي الرحمن المباركفوري: " الحمد لله رب العالمين، خالق السموات والأرض، وجاعل الظلمات والنور، وصلى الله على **سيدنا** محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أجمعين، بشّر وأنذر، ووعد وأوعد، أنقذ الله به البشر من الضلالة، وهدى الناس إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي لـه ما في السموات ومـا في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور"[2]. كلمات من نور تنم عن حب كبير.

ثانيًا: الفريق الثاني (المتوقفون عن التسويد).

حديث عبدالله بن الشخير – رضي الله عنه –.

استند هذا الفريق إلى حديث لرسول الله – ﷺ – لم أعثر على غيره ونص الحديث: " عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد من بني عامر إلى رسول الله – ﷺ – فقلنا أنت **سيدنا**، فقال: " **السيد** الله " قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: قولوا

(١) الاعتصام للشاطبي، ١/ ١، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، ط. مكتبة التوحيد.

(٢) الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ١/ ١٣، ط. دار الوفاء للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان"(١).

ونص الحديث: " عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد من بني عامر إلى رسول الله - ﷺ - فقلنا أنت سيدنا، فقال: " **السيد** الله " قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان"(٢).

في شرح حديث ابن الشخير هذا حكى الصديقي قول الخطابي: "قوله - ﷺ- **السيد** الله، أي **السؤدد** كله حقيقة لله عز وجل وأن الخلق كلهم عبيد الله، وإنما منعهم أن يدعوه سيداً مع قوله (أنا **سيد** ولد آدم) لأنهم قوم حديث عهد بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم. وقوله (قولوا بقولكم) أي قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله تعالى في كتابه، ولا تسموني **سيداً** كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا **يَسُودونكم** في أسباب الدنيا، وأنا **أسودكم** بالنبوة والرسالة فسموني نبياً ورسولاً. وقوله: (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار، ومعناه: دعوا

(١) سنن أبي داود، موسوعة الحديث، الكتب الستة، حديث رقم ٤٨٠٦، ص ١٥٧٧، مسند أحمد، حديث رقم ١٦٥٧٠، ٢/ ٣٥٥٢.

(٢) سنن أبي داود، موسوعة الحديث، الكتب الستة، حديث رقم ٤٨٠٦، ص ١٥٧٧، مسند أحمد، حديث رقم ١٦٥٧٠، ٢/ ٣٥٥٢.

بعض قولكم واتركوه واقتصدوا فيه بلا إفراط، أو دعوا **سيداً**، وقولوا نبيـًا ورسولاً.

وقوله (ولا يستجرينكم الشيطان) معناه: لا يتخذنكم جَرِيـًا، والجَرِيّ: الوكيل، ويقال فيه: تفضل الله علي نبيه بخصائص حصرتها، تفضيل النبي - ﷺ - على سائر البشر، إثبات التفاضل بين الأنبياء، تحدث الإنسان بنعم الله، جواز إطلاق السيد على المخلوق يوم القيامة يظهر سيادة الرسول - ﷺ - دون منازعة.

وقال السندي: أي لا يستعملنكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز. أ.هـ هذا من أوجه الجمع بين هذه الأحاديث، ويجمع بينها أيضـًا بأن السيادة الحقيقة التي هي الغاية في الكمال(١).

قال ابن منظور: " قوله " ولا يستجرينكم من الجريّ وهو الوكيل، تقول: جَرّيت جَرِيًّا، واستجريت جريـًا أي اتخذت وكيلاً، قال: " وسمي الوكيل جريـًا لأنه يجري مجرى موكله. يقول: تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتنطعوا، ولا تسجعوا، ولا تتكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، كأنما تنطقون عن لسانه. قال الأزهري: وهذا

(١) عون المبعود على شرح سنن أبي دود، حديث رقم ٤٨٠٦، ص ٢٢٢٠، المجلد الثاني للشيخ المحدث أبي عبدالرحمن شرف الحق محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، مراجعة وتحقيق الألباني، ط. دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

قول القتيبي، ولم أر القوم سجعوا في كلامهم فنهاهم عنها، ولكنهم مدحوا فكره لهم الهرف في المدح فنهاهم عنه، وكان ذلك تأديبـًا لهم ولغيرهم من الذين يمدحون الناس في وجوههم(١).

مناقشة ما تضمنه الحديث:

حديث وفد بني عامر الذي جاء إلى رسول الله – ﷺ – فقالوا له: أنت **سيدنا** وابن **سيدنا**، فقال لهم رسول الله – ﷺ -: قولوا بقولكم أو بعض قولكم. **السـيد** الله تبـارك وتعالى إنما أنا عبدالله ورسوله....

قد تكون إجابة رسول الله – ﷺ – لوفد بني عامر بتلك الصيغة مراعاة لقرب عهدهم بالإسلام وتواضعـًا منه – ﷺ.

في ذلك الوقت كان العرب الذين قدموا حديثي عهد بالإسلام ورسول الله – ﷺ – حريص على أمته، رحيم رؤوف بها، يحاول ما وسعه الجهد أن يوطد عرى الدين، ويوثق أواصره وأن يجتذب قلوب الناس حتى يدخلوا فيه، وبعد ذلك يكون فهمهم لحقيقة الإسلام، ومعرفة أحكامه الكلية والجزئية.

نعم قد يشير ظاهر الحديث إلى أن رسول الله – ﷺ – رغب عن هذه العبارة " **سيدنا** وابن **سيدنا** "، لكنه لم ينه النهي الصريح عن تلقيبه بالسيادة وهناك أحاديث كثيرة عديدة ذكر فيها كلمة **سيد، وسيدنا،**

(١) لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين، ط. دار المعارف. (جرى)، ص ٦١١.

وسيدكم، قالها رسول الله – ﷺ – وقالها عدد من الصحابة، وذكرنا ذلك سلفـًا وعلقنا عليه في سياق هذا البحث والحمد لله. وحديث واحد لا يعارض جملة الأحاديث التي جرى فيها التلقيب **بالسيادة** على لسانه – ﷺ – وألسنة غيره من الصحابة.

إن الحديث الذي قد يفيد ظاهره عدم تفضيل قول **سيدنا** هو حديث عبدالله ابن الشخير – رضي الله عنه – ولا نعلم غيره. على أنه من الممكن أن يوجه ما قد يفهم الحديث من النهي عن تلقيبه – ﷺ – بالسيادة من وجهين:

الوجه الأول: أن رسول الله – ﷺ – قالها للقوم من بني عامر الذين كانوا قد وفدوا عليه في بداية عهدهم بالإسلام حيث شاء الله أن ينقذهم لتوهم من براثن الشرك فأراد– ﷺ – أن يوثق عرى الدين، ويجذر الإسلام والإيمان في نفوس القوم. فهو الحريص على أمته الرؤوف الرحيم بها، وكان من عادته – ﷺ – أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأن يراعي في خطابه الظروف والملابسات والأحوال التي تحيط بالمخاطبين. وهذا من أهم فنون القول والتعامل، فمراعاة الحال تستقطب النفوس، وتستميل القلوب، وتبلغ المطلوب. ومراعاته – ﷺ – لحال هؤلاء تتمثل في خوفه عليهم من الغلو في الإطراء والمدح مما يقد يؤدي بهم إلى الوقوع في الشرك – والعياذ بالله –. ومن هنا نهى الرسول –ﷺ– عن إطرائه كما فعلت النصارى مع عيسى بن مريم،

روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول على المنبر: سمعت النبي - ﷺ - يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله"(١).

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، وكان من غلو النصارى في المسيح عليه السلام أن ادعوا أنه إله وأنه ابن الله. وقد حذرهم الله في القرآن الكريم ونهاهم عن هذا الغلو الذي أفسدهم وسلكهم في دائرة الشرك والكفر فقال: " **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ** "(٢).

خشي رسول الله - ﷺ - إقبال هؤلاء القوم على الإسلام، وشدة إعجابهم برسوله من أن ينحرف بهم هذا إلى الغلو والخروج عن الحق.

إن للرسول - ﷺ - في هذا الباب مواقف كثيرة تدل كلها على حرصه الكبير على حديثي الإسلام، فهو مرة يتألف قلوبهم بالعطاء كما فعل مع حصن بن عينية والأقرع بن حابس، وتابع أبو بكر - رضي الله عنه - رسول الله - ﷺ - في عطائهم، لكن الفاروق عمر - رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري، موسوعة الحديث، الحديث رقم ٣٤٤٥.

(٢) سورة النساء، من الآية ١٧١.